إطلالة

بينما يقوم الاحتلال الإسرائيلي بعمليات القتل والتدمير في غزّة، يدعم الغرب الإبادة الجماعية ويشارك فيها ويقتل السياسة ويطرح الحرب بديلاً مطلقاً لها. أمّا العالم العربي، فيعيش إفلاساً رسمياً اخلاقياً يمنع من اتخاذ أيّ موقف حاسم ضدّ العدوان

أسامة إسبر

واقعٌ فاضح يخترق التسميات كلّها

إبادات ما بعد الحداثة

لا يتوقّف الحديث في المجلات والصحف الغربية عن حروب ما بعد الحداثة، وما تتّسم به من اختلاف عن الحروب السابقة التي كانت تهتدي بخرائط واضحة وتدرس بنك أهداف ثابتة وتستهدف عدوّاً محدداً. ويتجلّى هذا الاختلاف أيضاً في أنّ الأسلحة صارت أكثر ذكاء والأهداف لم تعد ثابتة، كما أنّ تحديد الأهداف صار يستند إلى أدوات جديدة، مثل أنظمة الذكاء الاصطناعي التي وُظّفتْ في القتل والإبادة، بحسب صحيفة غارديان البريطانية التي ذكرت أنّ جيش الاحتلال الإسرائيلي استخدم أنظمة ذكاء اصطناعي متطورة لتحديد أهداف في غزّة، خاصة النظام الذي يُطلق عليه اسم «لافندر»، وكانت النتيجة المزيد من القتلى في صفوف المدنيين. تتطوّر الأسلحة بتطوّر التكنولوجيا، وينعكس هذا التطوّر على الحروب، وتتجلّى فحولة عصرنا العسكرية في صواريخ خارقة لسرعة الصوت ومسيّرات فتّاكة وأجهزة اتصال ورصد ذكية وتحديد للأهداف وتصوير غيّرت طبيعة المجابهة العسكرية، ما دفع كثيراً من البلدان إلى الشروع في ترتيب أولوياتها في أفقٍ ما بعد الحداثة العسكري، وتنبغي الإشارة إلى أنّ مصطلح «ما بعد الحداثة» مُبهمٌ لكثيرين، ويصعبُ تحديد المقصود به أحياناً، وصار لدى البعض أكثر ارتباطاً بتوصيف الحروب التي تُستخدم فيها أدوات التدمير والقتل والمعلوماتية في حروب استباقية للتعامل مع ما يسمّيه نعوم تشومسكي «جيوب المقاومة» في العالم، أو مع أهداف «معادية»، ومن أجل استنئار أو سابق له بالموارد.

لا تجد النخب المهيمنة على العالم الآن ما تتباهى به سوى الصواريخ الخارقة لسرعة الصوت والمسيّرات والروبوتات العسكرية، وصارت خريطة العالم خريطة عسكرية خالصة، وعليها يتمُّ تحديد الأهداف أو أماكن النفوذ أو الدول والجماعات المنبوذة أو المارقة كما تُسمّى في قاموس القوة السائد.

وابتُكرت مصطلحات في السياسة تحوّلت إلى نعوت تشير إلى كيانات في العالم بعينها تعزفها وتدمغها بدمغة «الإرهاب». وإذا كانت مرحلة ما بعد الحداثة قد اتسمت بموت الثقافة كرؤية مفسّرة للعالم ومغيّرة له، وتحوّل المثقّفون فيها إلى موظّفين اختصاصيّين يخدمون مؤسّسات القوّة القائمة، كما لو أنهم آلات مسخّرة، فقد سمحَ التطوّر في عصرنا أيضاً بوجود وسائل اتصال وتواصل وقنوات معلومات تمكّنت من توليد فعل بشري معارض لتوجّهات النخب العالمية التي تذكي الحروب والصراعات من أجل مصالحها الأنانية والضيقة، وما المظاهرات التي تقوم في جامعات العالم إلا دليلاً واضحاً على ذلك.

يمكن أن نصف عدوان غزّة بأنّه «ما بعد حداثي»، لأنّ الأسلحة الحديثة الفتاكة تلعب دوراً فيه، كما أنّ الإعلام ينقل المعركة إلى المنازل في أنحاء العالم، فنحن كمشاهدين لشاشة الرعب في الأمكنة كلّها نرى كيف تُدمّر الأبنية السكنية وتتناثر الأشلاء وتتكدّس الجثث وتتحوّل المدينة إلى صحراء من الأشلاء فوق جثث الأطفال والنساء والشيوخ. فيما تتمُّ عمليات اغتيال عابرة للحدود في سورية ولبنان والعراق وإيران.

> حروب تخلو من السياسة وتهدف إلى التدمير الخالص
>
> هل تعيت أجيالنا إلى هذا الحدّ أم أنّ المفاجآت قادمة؟

قال الفيلسوف الفرنسي جون بودريار في كتابه «حرب الخليج لم تقع» إنّ هذه الحرب كانت حرباً على الشاشات لا على أرض الواقع. كانت الانفجارات تحدث وتُعرض صور مشاهد الدخان والنار وهياكل الدبابات وبطاريات المدفعية المحترقة، لكنّنا لم نكن نرى القتلى، وخاصّة على شاشات إعلام النخبة. بالتالي كانت هناك معركة حدثت على الأرض سُفكت فيها الدماء، ومعركة أُديرت على الشاشات وقُدّمت بالشكل الأيديولوجي والإعلامي المناسب.

إلا أنّ التطور التكنولوجي المتواصل الذي يشهده عصرنا حرّر الإعلام من البيات التحكّم والرقابة وسمح للناس أينما كانوا بأن يشاهدوا المشهد الواقعيّ للقتل اليومي وللدمار المنظّم للإجرام المُتفلّت من عقاله، الذي يُندّر بخطر جسيم لأنّه لم تعد هناك ضوابط أو قوانين أو معادلات تتحكّم في ما يجري. تتّسم حقبةُ ما بعد الحداثة بموت السياسة، وبكون الحرب غايةً في حدّ ذاتها. هذا ما أكّدته الأنثروبولوجية الأميركية جوليا إليشار، والباحث المختص في تاريخ الشرق الأوسط، توماس ماشنال، في مقالةٍ نشراها بالإنكليزية في موقع جدلية، بعنوان «الحرب المقدّسة اليوم»، بطرحان فيها أفكاراً تلقي الضوء على الكثير من الأحداث الحالية. وبحسب ما يقولانه لم تعد الحرب استمراراً للسياسة بوسائل أخرى كما نظّر كلاوزفيتز، ذلك أنّ نُخباً فاسدة وأنانية وحاقدة تاريخياً في الغرب تقود عمليات حربية وتديرها لتحقيق مكاسب آنية على حساب الشعوب. ويضيف الباحثان أنّ الحرب الحالية التي تُصنّع كامتداد للحروب الصليبية تخلو من السياسة وتهدف إلى التدمير الخالص وإلى إبادة «العدوّ» الذي يُصوَّر بطريقة توضّح استحالة العيش معه، بالتالي إن أيّ سلام ينجم عن هذا التدمير المنظّم هو «سلام المقبرة». ويتّهم الباحثان الغرب بأنّه يدعم الإبادة الجماعية في غزّة ويشارك فيها ويقتل السياسة ويطرح الحرب بديلاً مطلقاً لها. بعيدًا هذا إلى ما قاله شاميل إل. جوردون في مقال نُشر في صحيفة معاريف الإسرائيلية عام 2007، بعنوان «خصائص حرب ما بعد الحداثة»، فقد ذكر أنّ حروب ما بعد الحداثة تُهدّد امن «البلد الصغير إسرائيل»، ولهذا يجب على «جيش الدفاع الإسرائيلي» أن يبني قوّة نارية جوية من أجل التعامل مع أهداف غير ثابتة ومجموعات تمتلك القدرة على التنقّل واستخدام أسلحة جديدة وأجهزة اتصالات متطوّرة. هذا ما تفعله «إسرائيل» الآن من خلال قصفها المُتلاحق للأهداف على رقع جغرافية موزّعة بين سورية ولبنان والعراق وإيران، في عمليات عابرة للحدود، ويمكن أن يطاول ذراعها الجوي أيّة دولة عربية دون أي خوفٍ أو تردّد. ومن الجلي أنّ وحدات الجيش الإسرائيلي التي تقوم بعمليات القتل والتدمير والإبادة الجماعية في غزّة وإيران، في عمليات عابرة للحدود، ويمكن أن تُنشأ قواعد عسكرية ثابتة على جبهات محدّدة، ولا تبريرات مُقنعة حتى لمن يعدّون أنفسهم من داعمي «إسرائيل». بات الهدف هو إبادة العدوّ، الذي هو السكّان، وتدمير شروط وجوده، بحسب إليشار وماشنال.

تشهدُ أزمنتنا سباقَ تسلّح غير مسبوق وتأمين ميادين معارك لاختبار الأسلحة على الدوام، دونما اكتراث بالضحايا المدنيّين الذين يسقطون وبظروف الحياة اللاإنسانية التي يُدفع إليها المدنيون في بعض المناطق في العالم. لقد أدّى إلى تفاقم ظاهرة الهجرة التي تُمارس حربٌ ضروس عليها لضبطها ولإبقاء المدنيّين في أماكن النزاع، ربّما من أجل قتلهم والتعامل معهم كفائض سكاني دون تدخّل حقيقي لحلّ النزاعات على أسس عادلة. والفاجع في هذا كلّه هو أنّ التدمير غير المسبوق في غزّة (والذي لا يهمّ تحت أي مسمّى نضعه) صار واقعاً فاضحاً يخترق التسميات كلّها ويشكّك في مصداقيتها، فهو يجري على مدار الساعة، منقولاً على الهواء، وأدّى إلى تحوّلات شخصية اتسمت بالبطولة في بعض الأحيان في الغرب، وحرّك وما يزال الأجيال الجامعية الجديدة ووسّع الوعي السياسي والتضامن مع الآخر عالمياً. إلا أنّ المخيّب للآمال في هذا كلّه هو أنّ البلدان العربية، بجيوشها وحكوماتها وجامعاتها وجوامعها وسفاراتها في العالم ونخبها السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وميزّانياتها وأحزابها العلمانية أو القومية أو الوطنية أو الدينية، لم تستطع التوحّد على مشروع للاتفاق على عمل إنساني نبيل يضع حدّاً لهذا الموت اليومي، بينما تجد النفاق قد تجاوز الحدود لدى بعض بلدان المنطقة، التي تتشدّق حكوماتها بالحديث عن التضامن مع غزّة، وشجب العدوان، بينما تقوم السفن بنقل الوقود يومياً إلى آلات القتل والإبادة. والسؤال الذي يجب أن يُطرح هنا هو: هل قطع العلاقات التجارية مع «إسرائيل»، بعد كلّ هذا الدمار والقتل، سيجدي نفعاً؟ ولماذا لم يحدث منذ البداية؟ لا شكّ في أنّ العالم العربي بطاقاته الحيّة والمبدعة الهائل وثرواته وخبراته وأجياله الذكية معطّل وغير قادر على القيام بمبادرة تُثبت حضوره في مجاله الجغرافي أوّلاً، ومن ثمّ في العالم، ثانياً. إنّ ما يفعله العالم لنا اكبر بكثير ممّا نفعله له، والسبب هو القيود المفروضة علينا بمختلف أنواعها، وضعف حسّ التضامن الكوني لدينا، وعدم الانتباه إلى أنّ تضامناً مع قضايا العالم سيبني شبكة كونية من المتضامنين ويقوّي التيار الاحتجاجي المعارض للحرب العدوانية. فهل تعيت أجيالنا إلى هذا الحدّ، أم أنّ المفاجآت قادمة وسط هذا الإفلاس الأخلاقي العربي الرسمي؟

(شاعر ومترجم سوري مقيم في الولايات المتحدة)

طفلة فلسطينية تنتظر العلاج في مستشفى برفح، 8 مايو/ أيار 2024 (Getty)

شبكة كونية من المتضامنين

لا شكّ أنّ العالم العربي بطاقاته الحيّة وتنوّعه الهائل وثرواته وخبراته وأجياله الذكية معطّل وغير قادر على القيام بمبادرة تُثبت حضوره في مجاله الجغرافي أوّلاً، ومن ثمّ في العالم، ثانياً. إنّ ما يفعله العالم لنا اكبر بكثير ممّا نفعله له، والسبب هو القيود المفروضة علينا بمختلف أنواعها، وضعف حسّ التضامن الكوني لدينا، وعدم الانتباه إلى أنّ تضامناً مع قضايا العالم سيبني شبكة كونية من المتضامنين.

قراءة

بين «مشروع النوم» واليقظة المرعبة

وجهان لرواية واحدة

رواية الكاتب التونسي شهاب عبد الله أشبه بعمارة متراكبة في داخلها، حادثٌ فوق حادث، وحادثٌ ضمن حادث، وروايةٌ في رواية أخرى

عباس بيضون

«مشروع النوم» عنوان مثير لرواية التونسي شهاب عبد الله، الصادرة عن «دار تُوقل» (2023). الرواية، شأنها شأن عنوانها، بناءٌ غرائبي. يصحّ أن نُسمّي «بناءً» الروايةَ التي هي بكاملها عمارةٌ متراكبة في داخلها، حادثاً فوق حادث، وحادثاً ضمن حادث، وروايةً في رواية أخرى، بحيث لا تني تتداخل وتتحوّل وتتوطّد، جزءاً على جزء، ولبنة فوق لبنة. «مشروع النوم»، لذلك، ذات مدى ملحمي، إنّها مسار يتطوّر ويحبل بالحوادث، ويستطيل ويتعقّد ويتراكب على طول النصّ.

تبدأ الرواية في ألمانيا؛ حيث نعثر على عائلة مروان التونسي، المتزوّج من الألمانية كلارا. البداية عجولة، مروان وكلارا ومعهما أمّ كلارا التي لا تحترم تونسية مروان، ووسام الصديق الذي لا نلبث أن نقع على تلميح لصلته الغرامية مع زوجة صديقه. ثمّ نعرف أن كلارا ووسام، ومعهما الابنة لونا، قضوا جميعاً في حادث سيارة.

نحن هكذا في رواية أولى سرعان ما تنتهي بالموت. إنّها رواية قصيرة نفهم أنّها مجرّد تقديم للرواية الحقيقية، التي لن تكون في المكان نفسه (ألمانيا)، ولا الزمان نفسه.

بعد ذلك، يحاول مروان الانتحار غرقاً في البحر ويجد من ينقذه. يتردّد على نفساني؛ حيث يجري كلام عن الطوفان، وألوان الطوفان، الأمر الذي يستدعي عودة إلى ولادة مروان يوم فيضان غمر البلدة. هذا ما يطبع حياته بالماء والبحر. نحن هكذا لا نزال في ألمانيا، وقصّة الماء هذه والطوفان جزء من تقديم لن يطول. سيعود مروان مع صديقه وقطه الرمادي إلى تونس، إلى حيث تنتظرنا القصّة الحقيقية الأولى.

ينتظرنا الآن نمطٌ آخر من القصّ، هو الآن مع قطّ متكلّم، «السيّد الرمادي» كما يُسمّي نفسه، هو القطّ الذي يزامل مروان. إنّه قط مثقّف كما يقول عن نفسه، فهو يُدلي باجوبة جازمة فصيحة ذات منطق خاصّ يخالف، كما يدّعي، منطق البشر، فللقطط كما يقول عقل ونفس مختلفان عمّا لدى الناس. غير القطّ المتكلّم هناك أيضاً مشروع النوم الذي بدأ مع والدة مروان. يتّصل المشروع بدون إيضاح كافٍ بالتعرّي في الشارع. أمّا المشروع الذي لا يزيد إيضاحاً فهو قريب من التنويم المغناطيسي. إنّه يهب النوم لأناس يشكون من السهاد، لذا يجتذب أشخاصاً على درجة من الأهمّية. نحن الآن في صلب قصّة أخرى، رواية تجمع مروان وصديقه إلياس وقطّه ومشروع النوم.

لن نبقى هنا، ثمّة رواية أخرى تنتظر هي هذه المرّة مع حيوان آخر، الكلب شمشون الذي ذاع اسمه وصيته بحيث بات أسطورة. من شمشون سننتقل إلى معاذ درويش، الذي هو مقابل مروان، بطلٌ ثانٍ لرواية ثانية. لمعاذ حكايته المنفصلة عن تلك التي لمروان، وإن كانت القصّتان تتداخلان في هوامش، لا تجعل منهما قصّة واحدة. تختلطان في تفاصيل، من هنا وهناك، وتصبّان في وقت ما، في مجارٍ مشتركة، لكنّهما تبقيان متمايزتين بل متقابلتين.

رواية مروان، ورواية معاذ درويش متماثلتان. إذا كان لمروان حيوانه «السيّد الرمادي»، فلمعاذ أيضاً حيوانه، حرباء له اسم بورا، وحرباء معاذ، شأنه شأن قطّ مروان، متكلّم. نحن في الحكايتين على غرار واحد.

حكايتان متقابلتان تبدو الثانية انفجاراً وتشظّيا للأولى

لا يسمّي بورا نفسه مثقّفاً، لكنّه شأن «السيّد الرمادي» حرباء مثقّف، وليس متكلّماً فحسب.

لمعاذ قصّته منذ وُلد واتّخذ له اسم أخ راحل، وربّته أمّ قوّدت لتُعيله. هو القاتل المتهتّك لا يلبث أن يصبح أستاذاً جامعياً، لكنّه مع حربائه ينضّ قائمة من عشر نساء، يقوم باغتصابهن واحدةً بعد واحدة. لنا الآن تلك القائمة في الرواية، التي تقابل مشروع النوم في الحكاية الأولى. هنا أيضاً الحرباء الذي يقابل القطّ، لكن قصّة معاذ أكثر تراكباً وأغنى مفاجأة.

نحن هنا أمام درامية وتلاوين أغنى. شرّ معاذ لا يقابله شرّ من ناحية مروان، ثم إنّ حياة معاذ الموحلة، التي تبدأ بقوادة أمّه غير حياة مروان. موت معاذ قتلاً لا يقابله، من الناحية الأخرى، ماساة مماثلة. إذا كانت حكاية معاذ تقابل حكاية مروان، فالثانية إيغال وعتمات ووعورة إضافية، مع ذلك يبدو أنّ بين الحكايتين استطراداً، ونوعاً من المحاكاة. حكاية معاذ هي الصفحة المظلمة لحكاية مروان. الثانية تبدو انفجاراً وتشظياً للحكاية الأولى. إذا كانت الأولى «مشروع النوم»، فالثانية هي اليقظة المرعبة.

(شاعر وروائي من لبنان)

شهاب عبد الله

قصائد

صور لا صوت لها تطحنها يوميّاً

بالكاد نلحق أن نفتح أكورديون

بافلوس د. بيزاروس

بافلوس د. بيزاروس

الذاكرة

ترحل الحياة رويداً رويداً بلا أيّما رحمة
مثل قِرلّى تطير بسرعة
وتعشّش على شواطئ البحار،
ومعها الكلمات النهّابة،
سهم أزرق فوق المياه.

إذ ترحل الأحلام كما تأتي،
بلا أن تُمسك،
بالكاد نلحق
أن نفتح أكورديون
الذاكرة المتبقّية
لنغنّي،
لنحكي، لنكتب
بقايا الوقت المتسعّ
في داخلنا.

المفاجأ

ظلاماً كثيفاً
تنشر أحشاؤنا.
الموت يأتي دوماً في الليل،
مع قلق الغسق
المخطوط على الخدود الغائرة
خدود من يرحلون وأولئك الذين ينتظرون
المفاجئ.

من هنا وهناك

في أيّ مرحلة من زمن مجرّتنا
حُفظت السنوات التي بدّدناها
بلا حسبان، حول طاولات
المؤتمرات، والأفكار
المجعّدة تتطاير

داخل سلّات مهملات وخارجها،
تاركة آثارها القتاليّة
على جدران صفراء وأعلام
مطويّة أعلام مظاهرات، أين راحت
الأيّام التي عذّبت فكرنا،
الساعات، اللحظات التي خسرناها
أين راحت؟

ما عساها قد صارت،
أين وكيف رُتّبت،
أيّ أشكال يا ترى اتّخذت
حواسّنا المبعثرة
وخصوصاً تلك التي يُسمّونها دُنيا،
الروائح والنكهات والآثار على الأصابع،

ما عساها قد صارت اندفاعاتها،
أهواؤها الجامحة.

ما الذي يبقى كي تفعله
آذاننا المخضرمة،
كي تلتقط أصوات السيرانات،
أقلّة الهديز الأزليّ
داخل إحدى صدفات البحر.
يا نظرتي المتسلّطة تنحطّين
مربكة حواسّي الأخرى.
(أيّها الفكرة المظلمة، أين تقودين عقلنا).

يا نظرتي المتسلّطة اسهري
لتكويني آخر من يرحل
قبطاناً أميناً على الواجب
قبل أن يترك السفينة بكثير
قد أمر أن تُلقى الحثالات.

اسهري. لئلّا يجدونا خاسرين.
من هنا وهناك.
لأجل هذه والأخرى كذلك.

لعنة آدم

كي تقدر أن تفكّر عليك أن تتصرّف.
لا أذكر من قاله أولاً.

إنّما لعنة آدم ترافقنا
في عملنا،
وفي هواجسنا الصغيرة.
جهد وعرق
جهد وعرق
لبقيّة حياتنا باكملها.

فكيف عسانا نجد ثانية وَرَع
الشهوات والرغبات،

بطاقة

Pavlos D. Pezaros شاعر يوناني من مواليد عام 1949 في بيرايوس التي عاش فيها حتى عام 1978 قبل أن ينتقل إلى العاصمة أثينا حيث يعيش اليوم. من مجموعاته الشعرية: «رائحة اليود» (1982)، «طعم الملوحة» (1986)، «تآكسد اللمس التدريجي» (1990)، «وقاع البحر» (2016). إلى جانب ذلك هو خبير في اقتصاد بلده الزراعي، حيث تولى مناصب مختلفة في هذا المجال، وله مؤلفات في حقل اختصاصه العلمي.

كلّ الأشياء تُقدَّم
ببدل دقيق طبعاً.

بقايا الشوق المظلمة
تسكن في الأحلام كالأشباح.
ورؤانا تتكسّر،

تطحنها يوميّاً صور لا صوت لها
تتبدل كأوراق دفتر
أمام شاشات العرض المتتالي.

(ترجمة عن اليونانية: روني بو سابا)

فعاليات

حروب القهوة: بُنّ بلا حدود واستعمار بلا تعريف عنوان محاضرة تُقدّمها الباحثة الكويتية **إسراء عبد الرحيم**، عند السابعة والنصف من مساء الثلاثاء، 28 أيار/ مايو الجاري، في «منصّة الفنّ المعاصر» بالكويت العاصمة. تندرج المحاضرة ضمن سلسلة ندوات تنظّمها مكتبة «تكوين» بعنوان «سقط القناع عن القناع».

ضمن تظاهرة «أسبوع العودة»، المستمرّة حتى السبت المقبل، تُقيم «جمعية الثقافة العربية» و«مدى الكرمل»، عند الثامنة والنصف من مساء اليوم، ندوةً بعنوان **عودة الصوت الفلسطيني حول العالم: الحركات الطلّابية مقابل السلطة**. يتحدّث في الندوة الأكاديميون: **مصطفى ريناوي** و**امير مرشي** و**امير طعمة** و**سلمى بركات** و**صافي شمعون** و**ربيع إغبارية**، والطالبان و**عد غنطوس** و**يوسف طه**.

بين 16 و22 أيار/ مايو الجاري، تحتضن «أوبرا الجزائر بوعلام بنّاي» في الجزائر العاصمة، فعاليات الدورة 13 من **المهرجان الدولي للموسيقى السمفونية**. تشارك في الدورة فرقٌ من 15 بلداً، من بينها الصين ضيف الشرف، وتُقدّم عددٌ من العروض في مسارح مدن وهران وبجاية وتيزي وزّو والجزائر العاصمة.

في «سينما أمير» بمدينة طرابلس اللبنانية، تتواصل حتى بعد غدٍ الثلاثاء، فعاليات الدورة الثالثة من **مهرجان لبنان السينمائي الدولي للأفلام القصيرة**، والتي تُقام ضمن احتفالية «عاصمة الثقافة العربية 2024». يُشارك في الدورة، التي انطلقت أمس، 64 فيلماً، بين روائي ووثائقي وتحريك، من 25 بلداً.